

فلسفة تاريخ الثورة الجزائرية (قراءة في النصوص)

Philosophy of the history of the Algerian revolution (Reading in texts)

عبد الوهاب خالد

جامعة أم البواقي (الجزائر)، abdelwahab khaled @yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/08/03 تاريخ القبول: 2023/12/31 تاريخ النشر: 2023/12/31

Abstract:

This study of the history of the Algerian revolution is an attempt to explain on what emerged from this political battle between national forces and French colonialism, before the outbreak of the liberation revolution, as well as its reflection in the form of principles and values embodied in the texts that carried the charters of the revolution. The problematic of this research is : Is this political struggle against French colonialism the expression of an intellectual movement that only defends national principles and values? Were these values embodied in the texts and charters of the Algerian revolution?

Keywords : The Algerian revolution, French colonialism, the national movement, texts, principles, national and human values.

المخلص:

تعد هذه الدراسة الفلسفية لتاريخ الثورة الجزائرية محاولة لتوضيح ما أفرزته تلك المعركة السياسية بين القوى الوطنية والاستعمار الفرنسي من أفكار ومبادئ سياسية متنوعة ، والتي يعود لها الفضل الكبير في تحديد معالم وأدبيات الفكر السياسي قبيل اندلاع الثورة التحريرية . كما يتمحور البحث هنا حول الجانب الفكري والفلسفي و الأيديولوجي في أفكار ومبادئ هذه القوى الوطنية المتنوعة . ومنه فمشكلة هذا البحث تتمثل فيما يلي : هل هذا الصراع السياسي مع الاستعمار الفرنسي هو تعبير عن حركة فكرية تدافع عن مبادئ وقيم وطنية فحسب ؟ أم تتعداها إلى قيم عربية وإسلامية وإنسانية ؟ وهل تجسدت هذه القيم في نصوص ومواثيق الثورة الجزائرية ؟

الكلمات المفتاحية : الثورة الجزائرية ، الاستعمار الفرنسي ، الحركة الوطنية ، نصوص ، مواثيق ، مبادئ ، قيم وطنية وإنسانية .

1. مقدمة:

إن المناخ الفكري والثقافي المقصود في هذا البحث ، هو ذلك الزخم الفكري الكبير للحركة الوطنية وتلك الأفكار المختلفة أطرافها والمتفاعلة ايجابيا مع الواقع المتواجدة فيه ، حيث أن أي فكر فلسفي عامة ، وأن أي فكر ثوري خاصة لا يمكن أن يكون محايدا للواقع كما يرى بعض الفلاسفة من أمثال " فجنشتاين" و "هوسرل" .

ومنه إذا سلمنا بمسلمة "لينين" بأنه لا وجود لثورة دون نظرية ثورية فإنه لاوجود لنظرية ثورية بدورها إلا من خلال التنظير الذي لا تصور له دون منظرين وموجهين ، أي دون مثقفين كما ذهب إلى ذلك "غرامشي" . وبالتالي من الصعب جدا فهم الثورة استنادا إلى معطياتها المادية والى أحداثها المباشرة فقط ، دون ربطها بالأحداث التي سبقتها ومهدت لها ، وبالأفكار التي كانت وراء تلك الأحداث . ذلك يعني أن دراسة أي ثورة أو حادثة تاريخية أخرى ، بعيدا عن الجذور الفكرية والثقافية التي مهدت لها وكانت وراءها هي دراسة جوفاء وغير مجدية لمعرفة هدف الثورة الحقيقي والذي يحدده كارل ماركس باسترجاع الجوهر الإنساني من قبل الكائنات الإنسانية ولأجلها (البيطار ، 2002 ، ص 211) ، لأن كل تاريخ أيا كانت طبيعة أحداثه إنما هو وليد الفكر أولا وقبل كل شيء على حد زعم "كولنغود" .

ولأجل ذلك يعد هذا البحث محاولة لتبيان بعض من هذه الأفكار التي تعددت وتنوعت أطرافها خاصة منها السياسية والأدبية والاجتماعية ، ولعل الغرض من ذلك تحديد ما لها من روابط وعلاقات بالتنظير للثورة التحريرية ، وكذا اعتبارها من أدبياتها التي تجسدت كمبادئ وأبعاد في النصوص التي حملتها موائيقها ، ومنه التأكيد على البعد الفكري والثقافي لهذه الموائيق موضوع هذا البحث وما حمله من قيم فكرية وإنسانية . ولأجل هذا الغرض سيحاول هذا البحث الوقوف عند الفكر السياسي لذلك المناخ من خلال ما أفرزته أدبيات الحركة الوطنية من أفكار سياسية تجلت بصماتها في موائيق الثورة . ومنه فالمشكلة التي يطرحها هذا المبحث تكمن في الأسئلة الآتية :

هل هذا الصراع السياسي مع الاستعمار الفرنسي هو تعبير عن حركة فكرية ترفع لأجل مبادئ وقيم وطنية فحسب ؟ أم تتعداها إلى قيم عربية وإسلامية وإنسانية ؟ وهل تجسدت هذه القيم في نصوص وموائيق الثورة الجزائرية ؟

2. الفكر السياسي

للإجابة عن الأسئلة السالفة الطرح سنحاول توضيح ما أفرزته تلك المعركة السياسية بين القوى الوطنية والاستعمار الفرنسي من أفكار مختلفة الأطياف السياسية ، والتي يعزى لها الفضل الكبير في رسم معالم وأدبيات الفكر السياسي قبيل اندلاع الثورة التحريرية ، وكذا انعكاسها في صورة مبادئ وقيم جسدتها النصوص التي حملتها موانيق الثورة . وبالتالي لايهتم هذا المبحث بالتأريخ لهذه المرحلة من خلال الحديث عن الصراع الذي عاشته أطياف القوى الوطنية من أحزاب وجمعيات مع الاستعمار الفرنسي ، لأن هذه مهمة المؤرخ السياسي رغم حاجتنا لهذا الأخير كمصدر ، بل يتمحور البحث هنا على الجانب الفكري والفلسفي بل حتى الأيديولوجي في أفكار ومبادئ هذه القوى الوطنية وغيرها من النشاط السياسي ، لأن المعركة في نظر الأستاذ عبد الله شريط هي معركة مفاهيم تتصارع فيها الأفكار بين الاستعمار والحركة الوطنية، كما تتصارع فيها عناصر وطنية داخلية بعضها متأثر بدافعه الوطني البحث (شريط ، 1986، ص120) .

ومنه فالمشكلة التي يطرحها هذا العنصر تكمن في الأسئلة الآتية :

هل هذا الصراع السياسي مع الاستعمار الفرنسي هو تعبير عن حركة فكرية ترفع لأجل مبادئ وقيم وطنية فحسب ؟ أم تتعداها إلى قيم عربية وإسلامية وإنسانية ؟ وهل تجسدت هذه القيم في نصوص وموانيق الثورة الجزائرية ؟

للإجابة على هذه الأسئلة حاولنا الاستعانة بالعديد من الدراسات لمفكرين ومؤرخين جزائريين من أمثال عبد الله شريط ، وسليمان الشيخ ، والبخاري حمادة ، وأبو القاسم سعد الله ، ومحفوظ قداش ، والعربي الزبيري ، ومحمد حربي وغيرهم من الأجانب من أمثال وليام كواندت ، وبين يمين سطورا، وجلبار مينييه . حيث تباينت تصانيفهم للفكر السياسي خلال هذه الفترة الزمنية لكنها تتقاطع عند الحركات والقوى الآتية :

1.2. الفكر الوطني الثوري

إن المقصود من الفكر الوطني الثوري هو ذلك التوجه السياسي والثوري الراديكالي ، والذي جعل من الاستقلال الكامل والناجز مطلبا وحيدا له ، رافضا بذلك وبشكل مستمر كل

المشاريع الاستعمارية الانماجية والإصلاحية¹. هذا التوجه السياسي ظهر بعدة مسميات ، أولاها حزب نجم شمال إفريقيا الذي تحوّل إلى حزب الشعب ثم إلى حركة الحريات الديمقراطية، والذي اتخذ عشية اندلاع الثورة اسم اللجنة الثورية للاتحاد والعمل، وأخيرا إلى جبهة التحرير الوطني. إذ كل هذه الأسماء في الحقيقة لمسمى واحد أجبر في كل مرة على تغييره كلما تعرض للقمع واتخاذ اسم جديد له، ما عدا اسم جبهة التحرير الوطني التي فرضها هو على بقية الحركات لتتخلى عن أسمائها القديمة ويندمج أفرادها في الجبهة كأفراد فقط (شريط ، 1986 ، 122) .

فمن المبادئ الأساسية التي نادى بها الفكر الوطني الثوري دائما ورددتها باستمرار هو الهدف الذي تعمل له الحركة الوطنية والقائم على حقوق شعب بأكمله في إطار وطني ، ثم تحدد الحركة في هذا الإطار الوطني الثوري الذي وصفت فيه الشعب الجزائري سنة 1937 بأنه "شعب له وحدته في اللغة وفي التاريخ وفي الدين وفي الجنس ، وأن الاستقلال لهذا الشعب يمكن تحقيقه على شرط أن لا يخشى السجن ولا الموت، وأن نعرف كيف نتحد، والأرضية لهذه الوحدة موجودة وقائمة، وهي أرضية المطالب. فكل حزب، أو كل واحد يستطيع أن يحتفظ بايديولوجيته الخاصة، مع توحيد جهوننا في نوع من العمل المشترك لننقذ شعبنا مما يتخبط فيه" (بخوش ، 2009 ، ص 30) . وبعد استيلاء اليسار الفرنسي على الحكم في أواخر الثلاثينات، تنكر لمبادئ وقيم الثورة الفرنسية من حرية وعدالة وأخوة وديمقراطية للشعوب، ذلك ما جعل حزب الشعب الجزائري يؤسس مبدأ جديدا لعمله السياسي سيبقى من المبادئ القارة في الفكر الوطني الثوري إلى ما بعد الاستقلال ، ألا وهو مبدأ الاعتماد على النفس. وأعلن منظرو هذا الحزب في ماي 1939 أن حزب الشعب الجزائري لا يرى مخرجا للشعب إلا في تشديد الكفاح داخل منظماته.

ولعل هذا ما جعل من العمل التنظيمي للشعب داخل الحزب هو أساس الكفاح الحقيقي الذي مكن حزب الشعب إلى القضاء على الفوضى العجيبة التي كانت سائدة في كل مكان، إلى أن جعل كل المسلمين الجزائريين مدعون للدخول في صفوف حزب الشعب الجزائري لأنه هو الذي يعمل دون كلل على تنظيم الشعب (بخوش ، 2009 ، ص35).

كما أضاف منظرو حزب الشعب الجزائري مبدأ آخر وهو مبدأ عدم الانحياز إلى الشرق وألغرب ، وذلك راجع إلى خيبة أمله في حكم اليسار الفرنسي قبيل الحرب العالمية الثانية الذي أخذ يخيم على العالم . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لم يغير الحزب شيئا من مبادئه الثابتة في تركيز مطالبه على المبدأ الأساسي في إيديولوجيته ، والمتمثل في اعتبار قضية الشعب الجزائري ليست قضية حقوق اجتماعية ، بل هي قضية وطن .

ولعل ما يؤكد ذلك حسب رأي الأستاذ عبد الله شريط ، المنشور السري الذي أصدره حزب الشعب الذي ينادي فيه دعائه بأن حياة الوطن في مهب الرياح، والاستعمار الفرنسي خطط لتحطيمه ماديا ومعنويا، واللغة العربية تتهقرت منذ الاحتلال، والإسلام اختنق في عقر داره. ولذا فاحترام شخصية وممتلكات هذا الوطن لا يمكن ضمانه إلا في إطار جنسية جزائرية ودولة وطنية قائمة على أساس سيادة الشعب الجزائري (شريط ، 1986 ، ص15).

وعندما تحول حزب الشعب إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية شارك في الانتخابات البلدية ، ليؤكد مرة أخرى "فكرة الوطنية الجزائرية ذات السيادة ليكذب من جديد الأسطورة الحمقاء القائلة بأن الجزائر فرنسية ، وليحارب العبودية التي فرضتها السياسة الفرنسية (شريط ، 1986 ، ص 15) .

ولعل ما تميزت به الحركة مقارنة مع ما كان عليه حزب الشعب ، من حيث المبادئ والأفكار والأهداف وكذا طرق العمل التي شكلت تطورا في فكرها الأيديولوجي أن أصبحت منظمة أكثر فعالية ودقة، إذ تمرس منظورها ومناضلوها على طرائق من العمل ابتعدت عن الارتجال، وأصبحت جهازا سياسيا مهما، دقيق الأهداف ، وواضح الأساليب المرتبطة بأنواع من العمل والنضال السياسي (بخوش ، 2009، ص35) .

وفي هذه المرحلة من العمل المعقد الذي أصبح يميز الفكر الوطني الثوري ، الذي أصبح يشكل خطرا سياسيا حقيقيا على مستقبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر دون الأحزاب والحركات الأخرى ، ظهرت مشكلة إيديولوجية عرقلت نشاط الحركة وخطتها إزاء الاستعمار الفرنسي، وهي ما عرفت بالمشكلة البربرية ، والتي جاءت تعبر في نظر الحركة الوطنية عن الضعف الإيديولوجي للحزب، وعدم طرحه بوضوح لأهداف الكفاح ووسائله (بوحوش ، 1997 ، ص 318) .

ويلق الدكتور عبد الله شريط على هذه الفكرة بقوله: "والحقيقة أن الحزب يعاني فعلا ضعفا إيديولوجيا، برز بالخصوص بسبب نموه ونضجه وليس بسبب ضعف كيانه. ثم إن أزمة الحزب مهما كانت لا تعالج بفصل جزء من الوطن عن بقية أجزائه الأخرى في عنفوان المعركة ضد الاستعمار. وكان قادة هذه الحركة من الشباب، وقد بقيت تدور حول نفسها دون أن تتوصل إلى تحقيق شيء من أهدافها، وإثارة هذه المشكلة أو طرحها على البساط السياسي هو بحد ذاته عجز سياسي وانعدام للفكر الإيديولوجي، لأنها ليست قضية سياسية بل مجرد قضية ثقافية" (شريط، 1986، ص 125).

لكن رغم ذلك الضعف الذي اعتزى حركة الانتصار للحريات، إلا أن منظورها انتهجوا أساليب عمل جديدة ومعقدة، كالسيطرة على المنظمات الجماهيرية وقيادتها وتكوينها وهي المنظمات النقابية، والطلابية، والحركة الكشفية، والمنظمات الرياضية، والمؤسسات الثقافية الشعبية، والجمعيات النسائية.

وبالتالي تمكنوا من تجنيد كل هذه المنظمات، وتكوينها تكوينا فكريا وإيديولوجيا على ضوء مبادئ الحركة والمتمثلة في المبادئ التالية: "تهديم البنية الإمبريالية وإقامة سيادة الشعب الجزائري، تكوين دولة وطنية مع كل مستلزماتها من السيادة في السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، التطبيق بكل دقة للمبادئ الديمقراطية القائمة على التعليمات الآتية: الكلمة للشعب، السلطة لمجلس تأسيسي منتخب انتخابا حرا" (بخوش، 2009، ص 47). والى هذا الحد يبدو أمر الفكر الوطني الثوري واضحا، حيث أصبحت الحركة تتاضل من أجل دولة جزائرية ذات بنية ديمقراطية تشمل كل الجزائريين، ومنه فالقضية الجزائرية في نظر دعائها ليست قضية إصلاحات مهما كانت متعددة ومتنوعة، بل هي قبل كل شيء قضية سيادة. وهذه الديمقراطية لا يوجد فيها صراع الطبقات، لأن الصراع من أجل السيادة الوطنية يسبق في الأهمية صراع الطبقات، بالإضافة إلى ذلك أن الدافع الأساسي لإيديولوجية كفاح الجزائريين هو مفهوم الأمة الجزائرية، وهذا المفهوم يتعارض في جوهره مع كل الذين أنكروا وجود هذه الأمة الجزائرية، من أمثال المتقنين الجزائريين الذين ارتبطوا بنظرية الاندماج وكذا المنظرين للحزب الشيوعي الفرنسي، بل وحتى المؤرخين الفرنسيين.

ولعل هذا ما يؤكد رأي الأستاذ عبد الله شريط، حين اعتبر أن الوطنية الجزائرية التي يتشدد في التمسك بها حزب الشعب وحركة الانتصار ليست مثل الوطنية المتعصبة

الأوربية لأن وطنية الشعوب المضطهدة هي رد فعل على العدوان الذي لحقها في شرفها الوطني وقيمتها الوطنية. ذلك ما جعلهما واضحين في موقفهما من قضية الدين وقضية الجنس أو القضية العنصرية، فيعتبر العنصرية مرضا بل جائحة إنسانية، لأنها نظرية تقوم على احتقار الإنسان الذي يختلف عنه في الدم أو في لون البشرة، والوطنية الجزائرية ليست قائمة على هذا الأساس العنصري أو العرقي (شريط ، 1986،ص128).

وما يمكن استنتاجه من هذا التحليل أن النضال التحرري في الجزائر في هذه المرحلة ليس موجها ضد عرق آخر فيها، وإنما هو نضال المضطهدين مهما كان عرقهم ضد الذين يضطهدونهم مهما كان جنسهم ، بالإضافة إلى ذلك فالوطنية الجزائرية ليست حربا دينية مضادة حتى وان كانت تكافح من أجل تحرير الدين الإسلامي من السيطرة الاستعمارية . هذه الأفكار باعتبارها جهدا فكريا وسياسيا أنتجه الفكر الوطني الثوري(نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب وحركة الانتصار) يعكس تلك المعركة من المفاهيم والمبادئ والقيم التي جاءت الحركة ترفع لأجلها معتبرة الجزائر أمة متميزة عن فرنسا، وأمة قائمة الذات بعنصرها البشري وقيمتها الأخلاقية وانتمائها الديني والحضاري .

هذه الفكرة الأخيرة يعلق عليها الدكتور شريط بقوله : " أن العنصر الديني بالخصوص ألحت عليه الحركة الوطنية في هذه المعركة الإيديولوجية إلحاحا خاصا، وبينت أن الإسلام بالرغم من أنه يختلف عن الوطنية إلا أنه كان عاملا حاسما في تمتين الحركة الوطنية، لأنه كان أقوى محرك لتجنيد الجماهير الشعبية. وإن مفهوم الجهاد نفسه في سبيل الوطن متحد مع الجهاد من أجل الإسلام" (شريط ، 1986،ص129) ، بالإضافة إلى فكريتي الوطنية والدين ، هناك مسألة أخرى هي الديمقراطية وموقعها من ذلك الجهد الفكري والسياسي للحركة الوطنية الثورية ، حيث يبدو هذا المفهوم واضح المعالم في تصور الحركة للنضال السياسي ، ولأجل ذلك تعتبر الوطنية الجزائرية المبدأ الأول الذي يشكل جوهرها لما يحمل من مقومات خاصة للمجتمع الجزائري، والديمقراطية هي المبدأ الثاني باعتبارها مبدأ ثابت يشكل اليوم كفاحا واضحا ضد الاستعمار كما يشكل غدا العمل من أجل رفع مستوى الأمة في الميدان السياسي .

أما المسألة الأخيرة في تصور الفكر الوطني الثوري باعتبارها مبدأ أساسيا في فلسفته السياسية ألا وهي قضية انتماء الجزائر الحضاري ، حيث يعد تضامن المغرب العربي(الجزائر، تونس، المغرب الأقصى) الفضاء الجيوسياسي الأول الذي يحتضن الوطنية

الجزائرية ، ويراد بهذا المبدأ تحرير المغرب العربي من السيطرة الاستعمارية الأجنبية، وانسحاب كل قوات الاحتلال وتحقيق الاستقلال الكامل، والتمتع بالسيادة الوطنية الكاملة بالإضافة إلى اعتبار المغرب العربي جزء من الوطن العربي ، كما أنه وثيق الصلة بالإسلام ماضيا وحاضرا ومستقبلا . أما على المستوى الدولي فهذه الحركة تقترح سياسة الحضور في الشرق والغرب . هذه المبادئ وما حملته من قيم كالوطنية والدين والديمقراطية والعروبة والإسلام والمغرب العربي ، سنرى لها حضور كأبعاد أساسية في موانيق الثورة التحريرية ، خاصة منها بيان الفاتح من نوفمبر ، وكذا ميثاق الصومام .

2.2. الفكر الوطني الإصلاحي

إن أبرز من مثل الفكر الإصلاحي الوطني "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" باعتبارها حركة دينية ذات قاعدة شعبية واسعة ، ذلك ما مكنها منذ تأسيسها إلى التوجه نحو غرس بذور الروح الوطنية في نفوس الشباب الجزائري وتعليمهم لغة آبائهم وأجدادهم وتعريفهم بالتراث العربي والإسلامي بحيث تكون لهم عزيمة قوية وتعلق كبير بالجزائر التي ابتليت بالغزو الأجنبي والاحتلال الأوروبي الذي يهدف إلى ابتلاعها ومحو مقوماتها العربية الإسلامية. ولأجل ذلك اعتمدت خطابا حسب رأي المؤرخ أبو القاسم سعد الله وهو : " الخطاب العقلي ، والروحي (الدين ، اللغة ، التاريخ ، التعلم) ، الذي لا يستغني عنه أحد في المجتمع " (سعد الله ، 1986،ص167).

ولهذا يمكننا القول أن جمعية العلماء حركة دينية ذات رسالة ثقافية وعلمية اجتماعية تهدف إلى حماية التراث الوطني من الذوبان في الحضارة الأوروبية، وبعث الروح الوطنية في النفوس عن طريق تعليم الشباب وخلق الوعي الاجتماعي ومحاربة رجال الدين المزيفين الذين حاولت فرنسا أن تستعملهم لتثبيط عزائم الجزائريين، ونشر إسلام مزيف يخدم مصلحة قوة الاحتلال ويساعد على تنفير الجزائريين من دينهم الإسلامي الحنيف.

ولأجل ذلك كان الهدف من إنشاء الجمعية كما يقول الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف ،هدفا وطنيا وسياسيا بالدرجة الأولى ، يتمثل في توحيد الآراء وتجميع الشعب حول غاية واحدة ، حيث يلخص برنامج الجمعية في هدفين رئيسيين ، يتمثل الأول في تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب ، ومحاربة جمود الزوايا ، وإحياء اللغة العربية ، ومعالم التاريخ القومي الإسلامي وإنشاء المدارس والمساجد الحرة ، وفصل الدين عن الحكومة ، وتوعية وتنقيف

الشعب الجزائري ، وتربية الشباب تربية عربية إسلامية ن ومحاربة كل الآفات الاجتماعية ، والوقوف ضد محاولة مسخ الشخصية الجزائرية ، وتوحيد الشعب الجزائري . أما الهدف الثاني فكان استرجاع استقلال الجزائر وتكوين دولة عربية إسلامية (بوصفصاف ، 1981،ص108) .

وإذا حاولنا التعرف على أفكار وفلسفة جمعية العلماء في المجال السياسي ، لابد من الوقوف عند مظاهر التقارب أو الخلاف بينها وبين حزب الشعب أو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الشعبية و الحزب الشيوعي الجزائري، حيث بدأت هذه المظاهر تتبلور في الميدان الإيديولوجي في أواخر الثلاثينات. وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس بالخصوص أكثر عناصر الجمعية إعلانا عن رأيه في القضايا السياسية، سواء منها في المعركة ضد الاستعمار أو التي تثار فيما بين مختلف هيئات الحركات السياسية الأخرى مثل حركة الانتصار والحزب الشيوعي الجزائري في الصعيد الإيديولوجي الخالص .

فحاول أن يبين التناقض المبدئي بين الإسلام والماركسية، وجعل ذلك سببا في ضعف المكانة التي يحتلها الحزب الشيوعي لدى الشعب.

لكن رغم ذلك فالروابط الفكرية والإيديولوجية بين جمعية العلماء والحركة الوطنية الثورية أكثر تقاربا مما هو عليه من ناحية وبين الحزب الشيوعي الجزائري من ناحية أخرى. ولعل ما يوضح ذلك هو لاقتراح الذي اقترحه منظرو حزب الشعب الجزائري على جمعية العلماء و"شبيبة المؤتمر الإسلامي" للقيام بعمل موحد ، يقوم على الأسس الإيديولوجية المشتركة ، وخاصة فيما يتعلق بمعارضة هذه الحركات لحملة التنصير التي يقوم بها المبشرون المسيحيون في الجزائر (قاسمي ، 2020 ، ص130).

وهذا التقارب بين جمعية العلماء وحزب الشعب هو بصورة غير مباشرة استبعاد للشيوعيين، إلا أن "شبيبة المؤتمر الإسلامي الجزائري" باعتبارها تجمع بين أتباع للحزب الشيوعي الجزائري ومؤيدين لحزب الشعب الجزائري بقيت في مجموعها معارضة لحركة الاستقلال للجزائر وتمسكة بفرنسا وبالإصلاحات الفرنسية، ولذلك كان موقف الشيخ ابن باديس من هذه الوضعية الغامضة أن دعا إلى قبول الاختلاف في وجهات النظر عندما تتعلق بمسائل ثانوية أو بطرائق العمل التي ينتهجها كل واحد إذا كانت الأهداف التي يعمل لها الجميع واحدة. وكان يعتبر الاتحاد نفسه هدفا من أهدافه السياسية إذا خلصت له النوايا الطيبة. ولكن ما هو أهم من الاتحاد عنده هو الإسلام واللغة العربية والطابع الوطني

للجزائر. وأعطى موافقته على أن تعتبر المشكلة الجزائرية مشكلة وطنية وليست مشكلة إصلاحات (قاسمي ، 2020، ص1).

ومن أهم المبادئ التي دافعت عنها صحافة جمعية العلماء هي اعتبار الجزائر أمة ، ومن ثم مهاجمة فكرة التجنيس ورفضها رفضا تاما، بالإضافة إلى مقاومة الإجراءات المناهضة للغة العربية التي تمارسها السلطة الاستعمارية. ولقد كان لافتتاح دار الحديث بتلمسان فرصة لتوضح فيها جمعية العلماء كل مبادئها، بحيث جعلت من الإسلام والعربية وفكرة الأمة الجزائرية المتميزة عن فرنسا بكل ما تحمله من محتويات من لغة ودين وتاريخ ومن علماء عملوا من أجل الخير والعزم على مقاومة الصعاب وهذه الأمة ذات انتماءات تتسع حلقاتها أكثر فأكثر: الحلقة الأولى المغرب العربي ، الحلقة الأوسع منها هي حلقة الأمة العربية ثم الأمة الإسلامية ، ثم الإنسانية عامة (بوصفصاف ، 1981، ص 109).

ولعل ما يوضح أكثر النضال السياسي للجمعية هو موقفها من الانتخابات ، حيث لا يعطي العلماء عادة أصواتهم إلا للسياسيين الذين يعملون للإسلام وللأمة الجزائرية، ولذلك فهم رغم عدم اعتناقهم لنظرية حزب الشعب السياسية بأكملها إلا أنهم يحترمون هذه النظرية والفكرة التي يعتبرونها عدا للجزائر هي الفرنسية، حتى أن الشيخ ابن باديس أفتى بكفر من تقلد الجنسية الفرنسية وحكم عليه ليس فقط بالخروج عن الشعب الجزائري، بل الخروج من الجماعة الإسلامية (سعد الله ، 1986، ص1) ويعتبر علماء الجمعية أن الشعب الجزائري إذا كان مكونا من عرب وبربر فليس معنى ذلك أنه ليس شعبا واحدا، وإذا كانت الأمة الجزائرية مخصصة لشيء فهي مخصصة لكونها لا تريد الاندماج في فرنسا، ولا تقبل أن تتجنس بالجنسية الفرنسية، ولو فرضت عليه بالقوة. إلا أن تحفظ جمعية العلماء حتى لا يتجابها مع الاستعمار الفرنسي في الصراع السياسي لم يقابله الفرنسيون بتحفظ مماثل، وإنما جرهم ذلك على أن يمنعوا تدريس اللغة العربية إلا برخصة من السلطات الفرنسية، والرخصة عندما تطلب منهم لا يسمحون بها.

يلحق الأستاذ شريط على هذا التوجه الفكري والأيدولوجي للعلماء من خلال مخاطبتهم للاستعمار الفرنسي بهذه اللغة ، بأنه كان دليلا آخر على نقص في الفكر الأيدولوجي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأنهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يبنوا

الإنسان الجزائري المتحرر ثقافيا واجتماعيا. ومن ثم يكون هذا الإنسان قادرا على التحرر سياسيا ويحقق لوطنه الحرية والاستقلال (شريط ، 1986،ص17).

مما دفع الشيخ ابن باديس إلى التتديد بتأخر الفكر السياسي عند الفرنسيين الذين لم يخلجوا من التفاخر على المسلمين "بحروب القرون الوسطى التي هي قرون الجهل والظلام، حكم عليها التاريخ بأنها أعمال بربرية متوحشة. وقال إن السلطات الفرنسية لم تنردد في وضع الاحتلال الفرنسي للجزائري تحت شعار الحروب الصليبية معتبرة هذا الاحتلال حلقة جديدة في سلسلة المعارك الصليبية " (ابن باديس ،1925،ص4) ، ولذلك علق على المنهج السياسي الذي سارت عليه جمعية العلماء بالخطأ ، وبضرورة تغييره ، ودعا إلى مقاطعة الإدارة الفرنسية ، وعدم التوجه إليها بأي طلب ، وهو نوع من عدم الاعتراف بالحكومة الفرنسية (قاسمي ، 2020،ص132).

وهكذا انتهت المعركة الإيديولوجية بين جمعية العلماء والحكومة الفرنسية، واقتصرت أعمال الجمعية بعد ذلك على الميدان الثقافي والروحي،ولذلك لم يبق أمام الجمعية إلا طريق العمل من أجل "القضية الوطنية"، التي تقوم على اعتبار هذه القضية ليست قضية إصلاحات جزئية ثقافية يطلبها "فرنسيون مسلمون" من دولتهم الفرنسية، وإنما هي قضية شعب ذي شخصية متميزة عن الدولة التي تستعمره، وأنه لا حل لقضيته إلا على هذا الأساس.

3.2. الفكر اليساري التحرري

يعد الحزب الشيوعي الجزائري حزب يساري تحرري ، من مبادئه النظرية معاداة الامبريالية والاستعمار ، كما يؤمن منظوره بأن الرأسمالية حالة تاريخية حتمية في مسيرة التغيير نحو المجتمع غير الرأسمالي ، لأنها تحمل في كيانها تجاوز نفسها بنفسها .

وقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي هو المسؤول عن خلق تحالف بين الزملاء العرب والزملاء الشيوعيين في المستعمرات الفرنسية لغاية 1930م. لكن حين تخلى الحزب الشيوعي عن هذا الدور ، قرر قادة الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1931م إنشاء أحزاب شيوعية في تونس والجزائر والمغرب لأن الأحزاب الوطنية في الأقطار الخاضعة للهيمنة الفرنسية بدأت تبتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي وأعضائها يعملون بقصد نيل الاستقلال و الانفصال عن فرنسا (قاسمي ، 2020،ص132).

لكن مشروع الحزب الشيوعي الفرنسي لم يتجسد إلا في سنة 1935 م ، وذلك بإنشاء الحزب الشيوعي الجزائري المستقل نظريا عن الحزب الشيوعي الفرنسي، لكن مشكلة الحزب الشيوعي الجزائري أنه كان ينادي بقيام ثورة من الفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع ولا يتطرق إلى الموضوع الجوهري، مثل بقية الأحزاب الوطنية، وهو تحرير الجماهير من الهيمنة الفرنسية. ولهذا بقي الحزب معزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها (بن خليف ، 2009 ، ص152). وفي هذا الشأن يؤكد المؤرخ الفرنسي بن يامين سطورا بقوله : "إذا كان الحزب الشيوعي الجزائري ، قد تأسس رسميا سنة 1936 ، إلا أن التيار الشيوعي كان موجودا بالجزائر منذ قطيعة مؤتمر تور ، الذي شهد ميلاد الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1920. " (سطورا ، 1996 ، ص، ص 76،75) ولأجل ذلك يعتبر الحزب الشيوعي الجزائري امتداد للحزب الشيوعي الفرنسي تنظيما عضويا وإيديولوجيا ، ودليل ذلك أن الحركة الشيوعية في الجزائر ظلت منذ انتظامها في أول فيدرالية لها (1921) ، تابعة قاعديا للمعمرين وسياسيا للحزب الشيوعي الفرنسي التابع بدوره إيديولوجيا لموسكو (حمادة ،2005، ص80) .

وإذا تأملنا في المسألة الوطنية التي تعتبر حجر الزاوية في الإيديولوجية الوطنية في مرحلة ما قبل الثورة فإن الحزب الشيوعي الجزائري على حد تقدير الأستاذ قداش لا يرتبط بالمسألة الوطنية، وإنما يلح أكثر، على تحسين ظروف العيش للسكان (أجور، قوانين اجتماعية، مساواة) ويعتبر الحزب هذه المسائل هي التي تلخص المطالب المشروعة بل للعرب والقبائل الساكنين في الجزائر، ولذلك يقبل الحزب منح الجنسية الفرنسية لبعض المسلمين لأن منحها لكل المسلمين غير ممكن (قداش ،1980، ص).

والى هنا يبدو واضحا مدى تمسك الحزب الشيوعي الجزائري بمفهوم المواطنة والتي تتلخص في تصور موريس طوريز الزعيم الشيوعي الفرنسي الذي يعتبر إن الجزائر أمة في طريق التكوين من مزيج خاص يتألف من عناصر أوروبية، عربية وبربرية. وعندما يتم امتزاجها سيتكون من مجموعهم جنس جديد هو الجنس الجزائري في الوقت الحاضر فإن هذه الأمة لم يكتمل نضجها بعد. وفي الوقت لذي كان فيه الجزائريون يثيرون مسألة المواطنة الجزائرية والوطن الجزائري كان الحزب الشيوعي الجزائري متمسكا بإصلاحات "بلوم فيوليت" في سنة 1939 ، والمسألة المهمة عنده ليست هي المواطنة الجزائرية في وطن جزائري، بل هي اتحاد

الجزائريين مع الشعب الفرنسي، ودون هذه الوحدة فإن الجزائر ستقع تحت الإمبريالية الأجنبية (شريط ،1986، ص21). أما الاشتراكيون الفرنسيون فقد تبنا موقفا مطابقا لموقف الشيوعيين من مسألة "الوطن الجزائري". وهو يتلخص في وحدة الجزائر مع فرنسا ضد الامبريالية الأجنبية، وتأييد سياسة إدماج الجزائر في فرنسا، ومنح الحقوق السياسية للنخبة الثقافية والإدارية وأيضا للطبقة العاملة في الجزائر (بخوش ، 2009، ص49).

نتيجة لهذه المواقف السياسية التي بذل فيها الشيوعيون والاشتراكيون مجهودا إيديولوجيا معتبرا إلا أنها لم تحظى بتأييد وتجاوب الجزائريين ولم تتمكن من حشدهم وتعبئتهم لصالحها، بل أفرز هذا الموقف لدى الجزائريين عدا للشيوعيين والاشتراكيين في كل من الجزائر وفرنسا وتأييدا لفكرة الاستقلال التي تنادي بها الحركة الوطنية.

ولعل هذا ما دفع بالشيوعيين إلى الثورة على الوطنيين بسبب فكرة الاستقلال التي تؤدي إلى فصل الجزائر عن فرنسا، والثورة كذلك على دعاة الإصلاح الديني لأنه أيضا يؤدي إلى نفس النتيجة، وهي فصل الجزائريين عن الفرنسيين. وذلك ما قادهم إلى التحلي عن فكرة الوطن الجزائري والجنسية الجزائرية ، وبالتالي إنكار وجود الأمة الجزائرية لكونها لم تولد بعد ، وأن استقلالها أمر مستحيل . ولكنهم من ناحية أخرى يعتبرون أن الحزب الشيوعي الجزائري هو الحزب الوحيد الذي يمثل الأمة الجزائرية تمثيلا حقيقيا ، ويعتبر منظوره أن انضمام الجزائر إلى الوحدة الفرنسية هو الحل السياسي والديمقراطي الأفضل من غيره من الحلول المقترحة (بخوش ، 2009، ص23) .

والجدير بالذكر أن هذا الموقف كان أيضا هو موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من حرب الهند الصينية، كما يعتبر نفس الحزب بالنسبة للجزائر أن الحل الوحيد للديمقراطية هو أيضا الوحدة الفرنسية، أما الاستقلال فإنه لا يخدم لا مصلحة الجزائر ولا مصلحة فرنسا، وبالتالي فإن الشيوعية لا تسمح بانفصال الجزائر عن فرنسا.

والى هنا نخلص الى تصور مفاده أن الفكرة العامة التي ارتسمت في أذهان الناس عن الحزب الشيوعي الجزائري ومن ورائه الحزب الشيوعي الفرنسي، أنهما لا يملكان برنامجا سياسيا واضحا، وأنهما لا يتفان في مقدرة الشعب الجزائري على القيام بثورة تحرير نفسه من قيود الاحتلال الفرنسي . وهذه السياسة كانت مسطرة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي منذ مؤتمره الذي انعقد سنة 1920م ، حيث ألقى فيه الكاتب الفرنسي المعروف "شارل أندري جوليان" خطابا قال فيه بأن أبناء الجزائريين لن ينجحوا في القيام بأية ثورة ، وفي حالة

ما إذا حصلت ثورة فإنها لا تستطيع أن تفعل إلا شيئاً واحداً وهو إقامة نظام يحل محل النظام الاستعماري ، يكون في يد نخبة من المسلمين، ويكون هذا النظام السياسي أسوأ بالنسبة للشعب الجزائري من ذلك النظام الاستعماري (قاسمي ، 2020، ص134) .

تلك هي مبررات فشل قادة الحزب الشيوعي الجزائري في تحقيق أمنيته الممتثلة في الحصول على تأييد شعبي وخاصة بعد اتهام أعضاء حزب الشعب في أحداث 1945 بأنهم من المشاغبين ومن المؤيدين للفاشية الدولية ، بل وجلب لهم ذلك تهمة الولاء للشيوعية الدولية وتلقي التعليمات منها ، بالإضافة إلى اتهامهم لأعضاء جيش وجبهة التحرير بعد اندلاع الثورة التحريرية في 14 نوفمبر 1954 بعدم ثقتهم في الجماهير ، واختيارهم للعمل العسكري ، ولأجل ذلك لم يحض الشيوعيون بالقبول في أسرة الحركات الوطنية الجزائرية التي تحالفت فيما بينها وانصهرت في جبهة التحرير الوطني في الفترة الممتدة من 1954م إلى 1956م. وما يمكن قوله حول الحزب الشيوعي ، أن مشكلته الجوهرية تكمن في كونه لم يكن معتبرا حزبا جزائريا بآتم معنى الكلمة. ثم إن مشكلته الثانية هي أن دعائه كانوا يحاولون المحافظة على مصالح فرنسا ومصالح الجزائر في آن واحد، ولهذا فشلوا في إرضاء أي طرف. أما مشكلتهم الثالثة فتتجلى في موقفهم المعارض لاستعمال العنف وحمل السلاح لجبر فرنسا على الاعتراف بحقوق الجزائريين. ولهذا فإن التزامهم باستعمال الأسلوب الديمقراطي والمشاركة في الانتخابات المزورة من طرف الإدارة الاستعمارية قد جعلهم يفقدون المصادقية في الأوساط الشعبية ، و بالإضافة إلى ذلك فإن مشكلتهم الرابعة تكمن في نضالهم القائم على الإستراتيجية المسطرة من الشيوعية الدولية أو الكتلة الاشتراكية ، وليس قائما على مصلحة الجزائر (شريط ، 1986، ص22).

3. خاتمة:

ما يمكن استثماره من هذا البحث ، يمكن إجماله فيما يلي :

- أن المناخ الفكري والثقافي باعتباره ذلك الزخم الفكري الكبير للحركة الوطنية وتلك الأفكار المختلفة أطيافها والمتفاعلة ايجابيا مع واقع المجتمع الجزائري في عهد الاحتلال الاستيطاني الفرنسي خاصة في مرحلة ما قبل الثورة التحريرية .
- كل الأفكار التي تعددت وتنوعت أطيافها خاصة منها السياسية والأدبية والاجتماعية ، كانت وثيقة الصلة بالتطير للثورة التحريرية ، وكذا اعتبارها من أدبياتها التي تجسدت

كمبادئ وأبعاد في النصوص التي حملتها مواثيقها (بيان أول نوفمبر ، ميثاق الصومام ، برنامج طرابلس) .

- إن تلك المبادئ والأبعاد عكست الكثير من القيم الفكرية والإنسانية النبيلة التي حملتها نصوص الثورة التحريرية ، والتي تمثلها منظرو وقادة الثورة الجزائرية .

- أن جملة المبادئ والقيم الفكرية والإنسانية ، من حرية وعدالة وتسامح وسلام وديمقراطية وغيرها من القيم السامية والنبيلة ، والتي تشبع بها منظري ومناضلي تلك الأطياف السياسية على اختلاف وتنوع مبادئهم السياسية والعقائدية والثقافية ، سجد لها وجودا في نصوص وأدبيات الثورة التحريرية التي حملتها مواثيقها ، لأن أغلب محرري تلك المواثيق تكونوا في أحضان تلك التشكيلات السياسية .

- ومنه وجب على الباحثين اليوم في أدبيات ونصوص الثورة التحريرية الاهتمام أكثر بهذه الموضوعات وما طرحه من إشكاليات ، تخرج البحث التاريخي حول الثورة الجزائرية من أسره الأنطولوجي المكبل بسياج الزمان والمكان ، إلى فضائه الابستمولوجي والأكسيولوجي لمعرفة أبعاد هذه النصوص الفلسفية ، والقيم والمبادئ الإنسانية التي رافعت من أجلها الثورة التحريرية الجزائرية .

4. قائمة المراجع:

المؤلفات :

- نديم البيطار . (2002) . التجربة الثورية بين المثال والواقع . لبنان . بيسان للنشر والتوزيع والإعلام .
- عبد الله شريط . (1986) . مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر . الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب .
- الصادق بخوش . (2009) . الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية . الجزائر . غرناطة للنشر والتوزيع .
- عمار بوحوش . (1997) . التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 . لبنان . دار الغرب الإسلامي .
- أبو القاسم سعد الله . (1986) . الحركة الوطنية الجزائرية . الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب .
- عبد الكريم بوصفصاف . (1981) . جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931-1945) . الجزائر . دار البعث .

فلسفة تاريخ الثورة الجزائرية (قراءة في النصوص)

- يوسف قاسمي . (2020) . موانيق الثورة الجزائرية (1954-1962) دراسة تحليلية نقدية . الجزائر . شركة الأصالة للنشر .
- عبد الوهاب بن خليف . (2009) . تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال . الجزائر . دار طليطلة
- البخاري حمارة . (2005) فلسفة الثورة الجزائرية . الجزائر . دار الغرب للنشر والتوزيع .
- Benjamin Stora(1996) . Histoire de l'Algerie coloniale 1830-1954. Algerie. ENAL RAHMA.
- Mahfoud Kadache . (1980) . Histoire du Nationalisme Algerien .Algerie . SNED .

المقالات :

- عبد الحميد ابن باديس . (1925) . المنتقد ، العدد الخامس . ص 4 .